سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية
٢

النظرية الإسلامية في القيادة الحربية

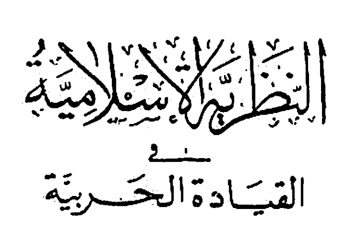
اللواء الركن
محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام

دار الإعتصام

٨ شارع حسين حجازى ـ تليفون ٢٦٠٣١ /٣١٧٤٨ ـ ص.ب ٤٧٠ ـ القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع


النظرية الإسلامية
في
القيادة الحربية

سلسلة

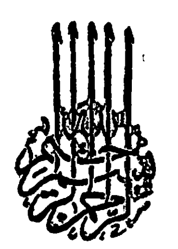
نظريات الإسلام العسكرية



اللواء الركن

محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام





اللواء اركان حرب

محمد جمال الدين على محفوظ

* ولد فى اغسطس ١٩٢٢ ميلادية ووالده علم من علماء الأزهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ الوعظ والارشاد .

* مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاها فى وظائف القيادة والتدريس والأركان والادارة العليا والتوجيه المعنوى والحرب النفسية والاعلام . وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ م .

* تخرج فى كلية القادة والأركان فى مصر وحصل على دراسات عسكرية عليا فى أكاديمية ناصر العسكرية

* حصل على دورات دراسية فى كثير من المعاهـــد الأجنبية لأمريكا وانجلترا وروسيا .

* حصل على ماجستير فى العــلوم السياسية من جامعة القاهرة .

* عمــل مديرالتوجيه المعنوى بعد حرب يونيــو ١٩٦٧ م فكان من أبرز أعماله أنه أقام منهج اعادة الروح المعنوية على أساس منهج الاسلام .

١ ــ فجعل ((الجهاد فى سبيل الله)) هى عقيــدة القتال للجيش .

٢ ــ وجعل ((النصر أو الشهادة)) هى شــعار الجيش .

٣ ــ وجعل ((الله أكبر)) هى صيحة القتال .

٤ ــ وجعل لعلماء الدين ووعاظ الجيش دورا كبيرا فى معايشة الجيش وربط نشاط رجاله فى السلم والحرب بالدين وقد كان هذا المنهج من أهم أسباب النصر فى حرب رمضان .

* المؤلفات العلمية والكتب :

له أكثر من ٢٠ كتابا فى العلوم العسكرية وفى القيادة العسكرية وأساليب التعليم والادارة العلمية وفى التوجيه

المعنوى وما زال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة فى الجيش المصرى .

* تخصص فى دراسة العسكريةالاسلامية منذ أكثر من ربع قرن ووضع فيها عدة كتب وأبحاث ومقالات فى المجالات الاسلامية فى مصر والعالم العربى كما قدم عددا من الأحاديث الدينية فى الاذاعة والتليفزيون وخاصـة برنامج «نور على نور» وشارك فىأعمال المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقد فى لندن فى فبراير ١٩٧٩ حول الدفاع والعالم الاسلامى ببحث عنوانه « الفكر العسكرى فى الاسلام » والمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى عقد فى الدوحة (دولة قطر) فى نوفمبر ١٩٧٩ .

* يحمل لواء الدعوة الى احياء أمجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية

* ومن أحدث مؤلفـاته :

١ ــ كتاب « المدخل الى العقيـدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية » .

٢ ــ كتاب « تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية » .

٣ ــ كتاب « العسكرية الاسلامية ونظريات العصر» .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سبقت حكمته أن تكون الأمة الاسلامية ، أمة قوية مرهوبة الجانب فأوجب عليها الجهاد فى سبيله ، وأمرها باعداد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، كما فى قوله جل شأنه : ((وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم)) (الحج : ٧٨) وفى قوله سبحانه : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) (الأنفال : ٦٠) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وامام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ...

● فان الاسلام ، كما نظم أمور الحياة دنيا ودينا ، قد نظم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها المبادىء والنظريات الأساسية ، التى قامت عليها أول مدرسة عسكرية فى تاريخ العرب مكتملة الأركان وتحتوى على المبادىء والنظريات التى تقوم عليها أية مدرسة عسكرية شرقا أو غربا .

● وعلى أساس هذه المبادىء والنظريات ، قامت الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، التى طبقها المسلمون الأوائل فى معاركهم التى خاضوها اعلاء لكلمة الله وواجهوا بها أعداء يفوقونهم فى العدد والعدة ، فانتصروا عليهم باذن الله ، وامتدت فتوحاتهم فى أقل من مائة عام من الصين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، وهزموا فى المعركة البحرية — وهم أبناء الصحراء — أسطول بيزنطة أقوى أساطيل زمانه .

● ثم تعرض العرب والمسلمون — يوم تخلوا عن الجهاد — لحرب حضارية استهدفت طمس معالم حضارتهم وفرض التبعية عليهم حتى أصبح العسكريون فى كثير من دول العرب والاسلام يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية ، وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكرى للدول الأجنبية ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكري يستحق الدراسة !! .

● أن التكليف القرآنى بالجهاد ، وباعداد القوة والمرابطة ، تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة .

ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة الاسلامية عن اعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بكل أسباب التقدم والتطور التى تفرضها طبيعة العصر .

● فواجب الأمة العربية والاسلامية — وهى تتجه نحو

النهضة الحضارية الشاملة – ان تتخذ من مبادىء العسكرية الاسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية .

● فان من أهم ما تتميز به تلك المبادىء أن لها – بحكم انبثاقها من الدين – من الاصالة ، ما للدين من اصالة، وان لها – فى كل عصر – من القوة والصحة والكمال ، ما يجعل الجيوش التى تعمل بها – قوى لا تقهر باذن الله .

● ومن اجل ذلك سوف نتناول النظريات العسكرية الاسلامية بالعرض والدراسة بحيث تصدر على هيئة سلسلة تختص كل حلقة منها باحدى هذه النظريات .

نسأل الله تعالى ان ينفع بها العرب والمسلمين وان يوفقنا جميعا الى كل ما فيه عز الاسلام والمسلمين .

لواء

محمد جمال الدين محفوظ

٣٠ ش الشهيد عبد المنعم اسماعيل – الماظة – مصر الجديدة



القيادة ضرورة إجتماعية

- معيار اختيار القائد
- أمان الاختيار
- صفات القائد
- محمد المثل الكامل

القيــادة ضرورة اجتماعية :

ضرورة القــائد :

القيــادة ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصــل بطبيعة الانســان وتراثه الثقــافى ومشاركته لمن حــوله فى مجتمعه ، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعا من الحاجة الى من ينظم العلاقات القائمة بينهم وفى هــذه الحالة يتولى أحدهم القيادة .

وهكذا يرى علم النفس أن طبيعــة الحيــاة تجعــل من حاجتنا الى قادة أمرا لابد منه وانه لا تكون جماعة الا ويجب أن يكون لها قائد .

ورسول الله صلى الله عليــه وسلم قائد جيش الاســلام الأول قد قرر هذا المبدأ محددا وواضحا حين قرر ضرورة وجود قائد للجماعة حتى ولو كانت صغيرة جدا .

فقال عليه الصلاة والسلام : « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » .

حق القـــائد فى الطاعة :

ويقرر الاسلام ـــ بعد مبدأ ضرورة القائد ـــ حق القائد فى ألطاعة . اى طاعة المرءوسين له . وفلسفة الطاعة هنا تكمن فى أنها لصالح الجماعة أولا وأخيرا اى انها ليست نوعا من الخضوع لأوامر مستبد .. فالقائد يقود الجماعة لتحقيق هدفها ، ولا يستقيم ذلك الا بطاعة أفراد الجماعة لأوامره .

ولقـــد كرمت المدرســـة الاسلامية القـــائد خير تكريم ووضعته فى أسمى منزلة ، فحق القائد فى الطاعة ثابت مقرر فى أكثر من آية فى القرآن الكريم :

((يا أيهـــا الذين آمنوا أطيعـــوا الله وأطيعوا الرســـول وأولى الأمر منكم)) . (النساء : ٥٩)

((وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)) .
(آل عمران : ١٣٢)

((من يطع الرسول فقـــد أطاع الله)) .
(النساء : ٨٠)

((ومن يطع الله والرسول فأولئك مـــع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصـــديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفقا)) . (النساء : ٦٩)

((ومن يعص الله ورســـوله ويتعـــد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)) . (النساء : ١٤)

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

— « اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى » .

— « انما الطاعة فى المعروف » .

— « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

— « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى » .

* * *

معيار اختيار القائد :

قررت المراجع العلمية شرطين رئيسيين عند اختيار القائد وهما :

١ — كفاءته كقائد من حيث توفر صفات القيادة فيه وتوفر قدرته على التأثير فى مرءوسيه .

٢ — تمتعه بحب مرءوسيه له .

ولقد انعكس هذان الشرطان انعكاسا تاما على تعريف القيادة العسكرية فى علم النفس العسكرى حيث تعرف بأنها « هى فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين

بطريقـــة تضمن بهـــا طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم » .

فمن هـــذا التعريف نلاحظ نوع الطـــاعة المقصـــود ، وهو الطاعة المقترنة بالثقة والاحترام والولاء والتعـــاون ، وهـــذا لا يتأتى للقـــائد الذى تنقصـــه الكفاءة والذى لا يحبه ومرءوسوه .

* * *

والمدرسة الاسلامية تقرر المعيـــار الأمثل لاختيار القائد وهو الكفاءة والحب .

وهـــذا مايتضح من تحليـــل قـــول الرسول القائد عليه الصلاة والسلام :

« أيما رجـــل استعمل رجـــلا على عشرة انفس علـــم ان فى العشرة أفضـــل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رســـوله وغش جماعـــة المسلمين ، وأيما رجـــل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه » (لم تجز اى لم تتعد) .

فهـــذا الحديث يضم الشرطين الرئيسيين للقـــائد وهما الكفاءة والحب :

١ ـــ الكفـــاءة فى القســـم الأول من الحديث وهى أساس التفضيل عند الاختيار الى درجة أن الانحراف عنهـــا يعتبر غشا لله وللرسول ولجماعة المسلمين .

٢ ـ ثم الحب فى القسم الثانى من الحديث الذى تبلغ اهميته كشرط فى اختيار القائد الى حد سقوط الصلاة عن الامام الذى يكرهه الناس .

كذلك قال عليه الصلاة والسلام : « خيار ائمتكم الذين تحبونهم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم (أى تدعون لهم ويدعون لكم) وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » .

* * *

أمانة الاختيـــار :

ويقرر الاســـلام أن أمانة الاختيار هى الطريق لوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، والأمانة عصب الأمـــة فى جميع شئونها ، والله تعالى يأمرنا بأدائها فيقول :

« ان الله يأمـــركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلهـــا ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

(النساء : ٥٨)

وأمانة الاختيـــار تعنى استقامة الضمير ونقاء النفس وشجاعة الرأى وخلوص القلب من الجبن والرياء والنفـــاق على أساس من العـــلم والمعرفة ، وتعنى تنزه الانتســـان عن اختيار غير الأكفاء لمنفعة أو لهوى .

ان شـان الذى لا يختـار بأمانة ، وبهـدف المصلحة العامة ، وشـأن من يستشار ولا يقول رايه بصدق واخلاص واختـار من لا يصلح ، شـأن من يشـهد شهادة الزور ، والشهادة الكاذبة من مظالم اللسان التى يضيع بها الحق ، وتختفى معـالم العـدل ، والله تعالى يحذر من قول الزور ويقرنه بعبادة الأوثان فيقول :

« فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .
(الحج : ٣٠)

* * *

وشأن من يتجنب ابداء الراى فى اختيـار الأصلح ، شـأن من يكتم الشـهادة ، والله تعالى يحـذر من كتمان الشهادة فيقول :

«ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » .
(البقرة : ٢٨٣)

وعن أبى موسى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من كتم شهادة اذا دعى اليها كان كمن شهد الزور » .

فأمانة الاختيـار تتطلب الموضوعية ، ونبـذ جميـع العواطف ، والتجرد من كل هـوى الا من جلال الحق والصدق والعدل ، وهذا ما يوجه اليه القرآن :

« وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا » (الأنعام : ١٥٢)

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » . (المائدة : ٨)

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

ــ « من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل ، فليتبوأ مقعده من النار » .

* * *

ــ وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير : أوصانى الا أخاف فى الله لومة لائم ، واوصانى أن أقول الحق وان كان مرا » .

ــ وعن ابى ذر أيضا قال : قلت يا رسول الله ، الا تستعملنى ؟ (أى توليني عملا عاما) قال : فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : يا أبا ذر ، انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذ بحقها ، وادى الذى عليه فيها .

ــ وعن يزيد بن سفيان قال : قال لى أبو بكر الصديق حين بعثنى الى الشام :

يا يزيد ، أن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالامارة ،

وذلك اكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فأمر عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم » .
(رواه الحاكم)

(صرفا ولا عدلا : اى لا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .
(رواه الحاكم)

* * *

ومن أروع صور التجرد من الهوى وعدم المحاباة حرص النبى صلى الله عليه وسلم أن يواجه آل بيته قبل غيرهم مكاره الحرب ، وأن يقاسموا المسلمين فى شدائدها ومصاعبها وبخاصة حين نادى المشركون : يا محمد اخرج لنا الأكفاء من قومنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى هاشم قوموا قاتلوا بحقكم الذى بعث الله به نبيكم اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » فقام حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف .

كذلك عين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بلالا

رضى الله عنه واليا على المدينة ، وفيها من فيها من الأنصار والمهاجرين ، وولى اسامة بن زيد — وهو أحد الموالى — قيادة جيش كان فيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة ، وبعث عبادة بن الصامت سفيرا للمسلمين الى المقوقس ، وكان عبادة اسود اللون حتى طلب المقوقس ابعاده عنه الا أن أعضاء وفد المسلمين قالوا له : اننا لا نستطيع ذلك لأنه رئيسنا وأفضلنا عقلا واسددنا رأيا .

* * *

صفات القائد :

هناك صفات معينة يلزم توافرها فى القائد حتى يستطيع أداء مهمته بكفاءة وأن يرفع معنويات رجاله وأن ينجح فى قيادتهم نحو الهدف المحدد وفى تحقيقه على أكمل وجه .

ولقد قام الباحثون بدراسة وتحليل حياة القادة العسكريين لاستخلاص هذه الصفات ، والجدير بالذكر أن أحدا من القادة لم تجتمع لديه كل الصفات وأن النقص فى بعضها كانت تعوضه دائما قوة فى البعض الآخر .

ويرى علماء النفس أن أهم صفات القيادة هى :

— أن يكون القائد قادرا وكفئا فى عمله .

- ان يكون دءوبا على العمل وعلى بذل الجهد المتواصل .
- ان يكون حازما وجديرا بالثقة .
- ان يكون مستعدا على الدوام لاتخاذ القرارات وتحمل المسئولية .
- ان يكون قادرا على تمالك نفسه وخاصة فى المواقف العصيبة .
- ان يعمل على تكامل شخصيته وتماسكها .
- ان تتوافر لديه القدرة على التعليم .

***

ويرى علماء النفس أيضا :

« ان الذين يعملون على افادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الانسانى يعتبرون أرقى الشخصيات جميعا . وهم فى الغالب أقربها الى درجات التكامل » .

« وان درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسبا (طرديا) مع اتساع دائرة المجتمع الذى يرمى الفرد الى اسعاده » .

ومن جهة أخرى فبعض المراجع العلمية تورد تفصيلا لصفات القيادة فى الآتى :

قـوة الشخصية ــ اليقظـة ــ حسن المظهـر ــ الشجاعة ــ الحسم ــ الثقة ــ قوة التحمل ــ الحماس ــ قوة التأثير ــ التواضـع ــ الروح المرحـة ــ المبـادأة ــ النزاهـة ــ الذكاء ــ الحكمة ــ العدل ــ الولاء ــ المشاركة الوجدانية ــ اللبـاقة ــ انكار الذات ــ اجادة التعبيـر والخطابة .

ويقول الفيلد مارشال مونتجمرى فى صفات القائد :

« أن القائد يجب أن يتحلى بصـفات كثيرة مثل الاقدام والصبر والشجاعة من شأنها أن تنفخ الثقـة فى الجنود ، ولكن الصفة التى يحتاج اليها فوق كل شىء هى تلك الشجاعة الأدبية وذلك الحزم ، ورباطة الجأش عندما تصبح العاقبة فى حال اضطراب لا يقين منها فان العامل الأقوى فى نجـاح القائد هو رباطة جأشه واشعاعه لتلك الروح فى رجاله عندما يكون هو فى قرارة نفسه على غير ثقة تامة من عاقبة معركته ويجب أن يكون القائد مطلعا اطلاعا تاما على رجاله حتى يضع كلا منهم فى المكان اللائق به . ثم انه من الواجب عليـه أن يراقب قلبـه عن كثب فان القتال فى حقيقته معركة بين عزيمتين عزيمته وعزيمـة خصـمه قائد جيش العـدو ، فاذا اضطرب قلبـه عندما يرى العاقبة على غـير ما يتمنى ، فالمحتمل أن المنتصر هو الخصم » .

***

محمد المثل الكامل :

وإذا كانت الصفات المثالية للقائد قد جاءت نتيجة لدراسة شخصيات ابرز القادة فى التاريخ كما أسلفنا ، وهي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة حيث انه ليس من الممكن ان تجتمع كلها فى شخص واحد ؛ فان كل هذه الصفات بل وصفات أخرى غيرها قد اجتمعت فى رسول الله قائد جيش الاسلام الأول . لذلك فهو المثل الكامل وهو القدوة المثلى كما يقول الله تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .



١ ـ كمال الاخلاق :

أما الأخلاق فليست بحاجة الى الحديث عنها ؛ فهذا القائد محمد هو رسول الله الى الناس ، اصطفاه ليبلغ أعظم رسالة ، وكان الله تعالى يريد كرامة رسوله ، فجعله تحت حراسته ورعايته وحفظه من ادناس الجاهلية ، حتى كان أفضل قومه مروءة ، واحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا وارجحهم حلما ، وأصدقهم قولا ، وابعدهم عن الفحش ، حتى عرف بين أهل مكة فى حداثة سنه بالأمين ، لأنه استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها انسان قبله ولا بعده ، كان ذلك لأن الله تعالى تولاه حتى خاطبه بقوله :

ـه « وانك لعلى خلق عظيم » .

وحتى حدث هو عن نفسه فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »

٢ ــ كمال العقل وحسن السياسة :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم من كمال العقل والعلم فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه ، وعلى الرغم من انه لم تسبق له ممارسة ولا مطالعة كتب يتعلم منها أخبار الماضين ، فقد تبين من التاريخ انه أعقل العالمين .. انظر الى حسن تدبيره وسياسته للعرب الذين كانوا أهل عزة واباء وانطلاق ، مع الطبع المتنافر المتباعد . . وكيف احتمل جفاءهم وصبر على اذاهم بكل سياسة وحكمة وبعد نظر . . حتى انقادوا اليه ، والتفوا حوله وقاتلوا فى سبيله أهليهم وآباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم ، وهاجروا معه ، وتركوا أوطانهم وأحباءهم .

***

٣ ــ احترام النفس والتواضع :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف قدر نفسه، ويحترمها ، فكان بريئا من الرياء والتصنع ، مستقل الرأى ،

لا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن متكبرا ولا ذللا . . بل لقد كان فى ثوبه المرقع الذى كان يرقعه بنفسه يخاطب بقوله الحق أكاسرة الفرس وقياصرة الروم . وكان لا يؤخر عمل اليوم لغده ، وما عبث قط ، ولا ظهر فى قوله وفعله روح اللهو ، وكان يكره أن يحوط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطان والملك فكان يقول لأصحابه : « لا تطرونى كما أطرت النصارى أبن مريم » انما انا عبد الله : « فقولوا عبد الله ورسوله » وخرج على جماعة من أصحابه متوكئا على عصى فقاموا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا » .

* * *

٤ ـ الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ :

اما الصبر وقوة الاحتمال ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم فيهما المثل الأعلى ، لقد أوذى فى الله فى نفسه وأصحابه فلم يلحقه جزع ، بل كان شجاعا حكيما ، وصبورا كريما ، فكم ناله من أذى المستهزئين وكيـــد المنافقين ، فما لج بالشكوى ، بل كان دأبه الصبر مـع التفويض لله تعـالى حتى جعل له من امره فرجا .

وكان يقابل الأذى بالصبر الجميـل ، ويعامل اعـداءه بالمداراة ويتألفهم بحسن المصانعة ، فكان يقـابل الحمق والخرق بالحلم والرفق ، والصلف واللجاج بالوداعة والأناة ، وحسبنا أن نلقى طرفا على تاريخ الدعوة الاسلامية لنعرف كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا فى الثبات على المبدأ وهى فضيلة كبيرة فى القائد .

انظر كيف لبث ثلاث سنين يدعـو الى الاسلام أقواما جفاة لا دين لهم الا عبادة الأصنام ، وحجتهم انهم يتبعـون ما وجدوا عليه آباءهم ، وأخيرا لم يسلم الا ثلاثة عشر رجلا فأى نجاح هـذا ؟ لا شك انه غـير مشجع . ولكنه ظل ثابتا على مبدئه مستمرا فى دعوته بكل عزم وارادة ..

ثم انظـر اليه وهـو يقول لعمه وهو يحـاول اقناعه بالرجوع عن قريش وترك الدعوة :

« والله يا عم : لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن اترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته ؟ » .

٥ ــ الوفاء :

والوفاء كذلك فضيلة اذا تحلى بها القائد كان قائدا عظيما ، اذ بالوفاء يأسر القائد قلوب رجاله ، ويرفع روحهم المعنوية الى قمتها ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الوفاء بالعهد . يروى أن عبد الله بن أبى الحمساء طلب الى النبى أن ينتظره فى مكان ما حتى يأتيه بشىء ثم نسى حتى ذكر ذلك بعد ثلاثة أيام فجاء الى الرسول فاذا هو فى مكانه فقال : « يا فتى لقد شققت على ، انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك » .

وبعد وفاة خديجة رضى الله عنها كان دائم التحدث عنها والترحم عليها والعطف على احبائها ، يقول أنس رضى الله عنه : كان رسول الله اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة إنها كانت صديقة لخديجة ، انها كانت تحب خديجة .

* * *

٦ ــ الشجاعة والنجدة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك المثل الذى

لا يجارى ، والقدوة المنقطعة النظير ، قال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأى شجاعة أعظم من أنه قام لأمر الله وحده ، ومضى قدما يدعو أقواما ليس عندهم من مكارم الأخلاق الا ما كان مرتبطا بالعزة والأنفة مما كان يؤدى كثيرا الى شن الغارات والحروب واهراق الدماء .

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة اذ سمعوا صوتا قويا غير عادى ، فانطلق بعض الناس نحو الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكبا فرسا عاريا والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » .

وهكذا كان أسبق القوم الى النجدة .

وقد برزت شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحرب بصورة ليس لها مثيل فى التاريخ :

(أ) فقد قاد بنفسه ثمان وعشرين غزوة انطوت على كل صور العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومطاردة وحصار ، وقيام القائد يتولى القيادة بنفسه شجاعة لا تؤثر ان تتوارى حيث يتاح لها أن تتوارى .

(ب) لم يكتف بالقيادة ، بل كان يشترك فى القتال بنفسه وخاصة فى المواقف الصعبة والحرجة من المعركة ، وفى ذلك يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، أتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا الى العدو » .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « والله كنا اذا حمى الوطيس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشجاع الذى يحاذى به » .

وفى غزوة حنين لما ولى المسلمون ، طفق الرسول يركض ببغلته نحو الكفار ، قال العباس : وانا آخذ بلجامها اكفها الا تسرع ، وكان صلى الله عليه وسلم يركض ببغلته الى العدو وينوه باسمه فيقول : انا النبى لا كذب ، انا ابن عبد المطلب . ولو لم يثبت الرسول مع عشرة فقط من أصحابه فى تلك الغزوة لاستطاعت هوازن وثقيف أن تبيد المسلمين .

وسجل الغزوات حافل بالمواقف التى يتصدع منها قلب أشجع الشجعان ومع ذلك فقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فيها غير مكترث بما يحدق به من اخطار .

* * *

٧ ـــ اللياقة البدنية :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمتع بلياقة بدنية قوية ،

فكان يصرع الرجل القوى ويركب الفرس عاريا فيروضه على السير ، وكان يداعب من يحب بالمسابقة فى العدو .

وفى غزوة الخندق كان اصحابه يلجئون اليه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع اليها لتحطيمها حيث تتفتت تحت وطأة مطرقته التى يهوى بها ساعده القوى ، وشارك أصحابه فى حراساتهم وفى استطلاعاتهم وفى مسيراتهم الطويلة الشاقة فى كافة فصول السنة واظهر فى ذلك تحملا وجلدا يعجز عنه اقوى أصحابه .

ويقول ابو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيه ، كأنما الأرض تطوى له ، انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث » .

***

٨ ــ حسن العشرة :

كان النبى صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدرا وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، وكان يخالط أصحابه ويجيب دعوة الحر والعبد والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويدعوهم بأحب أسمائهم ، ولا يقطع على أحد حديثه ، وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ، عن أنس قال : خدمت النبى فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته .

وقد قال عليــه الصلاة والسلام : « أنكم لا تســعون الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

وقال أيضا : « أن احبكم الى واقربكم منى منزلة يوم القيامة ، احاسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا (أى غير المتعالين والذين لا يتسمون بالغلظة) الذين يألفون ويؤلفون » .

***

٩ ـ الثقة المتبادلة :

كانت ثقة أصحاب الرسول صلى الله عليه وســلم به عظيمة جدا ، كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة أيضا ، يكفى ان نذكر موقف المسلمين من صلح الحديبية ، اذ لولا ثقتهم العظيمة به ، لرفضوا هذا الصلح .

أما ثقته بأصحابه فيكفى للدلالة عليهـا انه قبــل زج قواته فى معركة « بدر » بينما كانت قوات المشركين ثلاثة امثال قواته ، كما زج بهم فى معركة « أحــد » بينما كانت قوات المشركين خمسة أمثال قواته .. الخ .

ولا يمكن ان يقبل القائد الاشتباك فى معركة لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين على قواته تفــوقا ساحقــا ، الا اذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جدا .

***

١٠ ـ المحبة المتبادلة :

ظهرت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، ومحبـــة اصـــحابه له فى كل غـــزواته ، بل فى كل موقف له فى السلم والحرب .

حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه فى معركة « أحد » لما احدق به المشركون من كل جانب وصوبوا عليه نبالهم ، فأخذ المسلمون يصدون عنـــه النبال المصوبة عليه بأجسادهم ولم يقتصر ذلك على الرجال ، بل شـــمل النســـاء أيضـــا ، فلقد القت نسيبة الخزرجية سقاءها ، واستلت سيفا وأخذت تذود به عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم حتى خلصت الجراح اليها ، فأصيبت يومذاك بثلاثة عشر جرحا ، وأغمى عليها من النزيف ، فلما افاقت لم تســـأل عن زوجها الذى شـــهد « أحد » ولا عن ولديها اللذين كانا يقاتلان مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل سألت أول ما سألت بعد ان عاد اليها وعيها : « وكيف حال الرسول ؟ » .

❋ ❋ ❋

وهذا هو سعد بن الربيع يقول ـــ وهو فى نزع الموت ـــ لرجل بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد المعركة لينظر افى الأحياء هو أم فى الأموات : انا فى الاموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقـــل له ان سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك الله عنـــا خـــير ما جـــزى نبيا

عن أمته ، وابلغ قومك عنى السلام . وقل لهم : أن سعد ابن الربيع يقول لكم : انه لا عــذر لكم عنــد الله اذا خلص الى نبيكم (اى اذا خلص اليه العدو) ومنكم عين تطرف .

أما حب الرســول صلى الله عليــه وسلم لأصحابه ، فيكفى أن نذكر كيف نعى شـــهداء « مؤتة » وعيناه تذرفان ، وكيف انه رفض ما اقترحــه عمر بن الخطــاب حــول قتل حاطب بن ابى بلتعة ، لأنه ارســل كتابا الى قريش يخبرهم فيــه بحركة المســلمين لفتــح مكة ، بل على العكس ، أمر الرسول صلى الله عليه وســام ان يذكر المســلمون حاطبا ، بأفضل ما فيه .

لقــد كان يحب أصحابه حبــا لا مزيد عليه ، فاذا سلم عليهم لا يكــون البادىء ابدا بسحب يده عن الســلام ، وكان يلقى الناس بوجــه باسم متهلل حقا ، وكان يمقت الغيبــة وكان البادىء دائما أصحابه بالتحية .



١١ ــ روح الدعابة :

كانت الهشاشة والبشاشة والابتسام من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اكثر أحيانه ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها اذا كلت عميت » .

وان من سعة النفس (١) أن ينهض الرجل بعظائم الأمور بل بأعظمها جدا ووقارا وهو اقامة الأديان واصلاح الأمم وتحويل مجرى التاريخ ثم يطيب نفسا للفكاهة ويطيب عطفا على المتفكهين ويشركهم فيما يشغلهم من طرائف الفراغ فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تتسع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة . ولكن النفوس لا تستغرق هذا الاستغراق الا دلت على شيء من ضيق الحظيرة ونقص المزايا وان نهضت بالعظيم من الأعمال .

* * *

فاستراحة محمد الى الفكاهة هى مقياس تلك الآفاق النفسية الواسعة التى شملت كل ناحية من نواحى العاطفة الانسانية وهى المقياس الذى يبدى من العظمة ما يبغيه الجد فى أعظم الأعمال .

وكان محمد يتفكه ويمزح كما كان يستريح الى

---

(١) عبقرية محمد ــ عباس العقاد .

الفكاهة والمـــزاح وكان دابه فى ذلك كدابه فى جميع مزاياه : يعطى كل مزية حقها ولا يأخذ لها من حـــق غيرها أو يعطى الفكاهة حقها ولا ينقص بذلك من حق الصدق والمـــروءة .
فعبد الله الخمار كان يجد من قلب النبى عطف القلب الكبير على نقيصة الضعف فى الرجل السكير ، ولكنه كان يجد من تأديبه النبى جـــزاء الشـــارب الذى يخالف الدين ويخـــل تماديه بالشريعة . عطف يجمل بالنبى على أحسن ما يكون لأنه يجمل بالانسان على أفضل ما يكون .

واذا مزح محمد فانما كان يعطى الرضى والبشاشة حقها ولا يأخذ لهما من حق الصدق والمروءة .. فكان مزاحه آية من آيات النبوة لأنه كان كذلك آية من آيات الانسانية ، ولم يكن بالنقيض الذى يستغرب من نبى كريم ..

قال لعمته صفية : لا تدخل الجنة عجوز ! .. فبكت فقال لها وهو يضحك :

الله تعالى يقول :

((انا أنشأناهن انشـــاء (١) فجعلناهن ابكـــارا عـــربا اترابا)) .

---

(١) المعنى أن أصـــحاب اليمين يجلســـون على عرش مرفوعة على سرر ، وانشأنا لهم زوجات فى الجنة انشاء جديدا حتى من كانت منهن فى الدنيا عجوز فإنها تخلق فى الجنة شابة بكرا دائما مهما مسها زوجها .

وكان عليه السلام يقول لحاضنته السوداء أم أيمن وهى عجوز : « غطى قناعك يا أم أيمن » .

وسمعها فى يوم حنين تنادى بلكنتها الأعجمية : « سبت الله أقدامكم ! »

فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغي اليها ويداعبها بين نذر الحرب وصليل السيوف واقبل عليها يقول : « اسكتى يا أم أيمن فانك عسراء اللسان » ! .

فكانت هذه الدعابة فى ذلك الموقف المرهوب كأنها تربيت سيد الفصحاء فى تلك اللكنة البريئة .

* * *

١٢ ــ التوازن النفسى :

سبق أن ذكرنا أن الحرب معاناة قاسية وشرسة تتطلب قدرا كبيرا من التوازن النفسى الذى يمكن المقاتل من السيطرة على أعصابه فى المواقف الشديدة كالهزيمة مثلا حتى لا تتعرض معنوياته للانهيـــار ، كما يمكنه من الســـيطرة على اعصابه أيضا عند احراز النصر على العدو حتى لا يغفل عن واجب الحذر مثلا أو حتى لا يطغيه الفرح ويغريه بالخروج عن آداب الحرب أو أخلاقياتها .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة عليـــا فى التوازن النفسى ، وحفلت سيرته بصور اقرب الى الخيال

منها الى الحقيقة من التحكم فى الأعصاب فى اشد المواقف حرجا فى السلم والحرب معا .

فلم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ، ولبعض أصحابه فى غزوة احد من كل جانب ، ومع ذلك سيطر على أعصابه ، وكافح مع أصحابه حتى استطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد .

ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم الخندق عندما علم بغدر اليهود ونقضهم للعهد ، فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة (بعشرة آلاف من الأحزاب) ومن داخلها باليهود ، ومع ذلك سيطر على أعصابه فصد الأحزاب، وقضى على اليهود

ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم حنين عند انهزام المسلمين ، لكنه ثبت مع عشرة فقط (من اثنى عشر الفا) تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين ، وسيطر على أعصابه حتى هزم أعداءه ، فعاد أصحابه ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد . تلك أمثلة من سيطرته على أعصابه فى وقت الشدة ، أما فى وقت الرخاء ، فأروع ما يذكر من أمثلة ما كان يوم فتح مكة وحصوله على نصر ساحق على قريش التى ناصبته العداء أكثر من عشرين عاما ، لكنه سيطر على أعصابه ، ولم يظهر منه أى موقف من مواقف العظمة والجبروت التى أظهرها غيره من القادة عند انتصارهم وكانت قولته المشهورة لقريش : أذهبوا فأنتم الطلقاء !!

١٣ ــ بعد النظر :

يعتبر التنبؤ وبعد النظر أرقى درجات استعمال العقل ومن أسس النجاح فى التخطيط الذى هو فى مفهوم علم الادارة « تنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مــع الاستعداد لهــذا المستقبل » .

والقائد الناجح هو الذي يفكر فى كافة الاحتمالات القريبة والبعيدة ، ويدخل أسوأ الاحتمالات فى حسابه ، ويعد الخطط لكل موقف محتمل ، حتى يمكن تطبيق تلك الخطط عند الحاجة دون تردد ولا ارتباك .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحلى بمزية سبق النظر فى أعماله العسكرية وغير العسكرية . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى : ــ

أصر الرســـول صلى الله عليه وسلم على قبول شروط هدنة الحديبية لأنه فكر وسبق النظر فعرف بفكره الثاقب أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين فهى تؤمن لهم الاستقرار

وفى ظل هذا الاستقرار أصبح جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل فى فتح مكة بعد أن كان ألفا وأربعمائة فى غزوة الحديبية قبل سنتين . وكانت كل الدلائل تبشر باستسلام قريش يوم الفتح ومع ذلك اتخذ الرســـول صلى الله عليه وسلم كافة التدابير الممكنة لمعالجة أسوأ الاحتمالات فقسم قواته الى اربعة أرتال ودخـــل مكة من جهاتها الأربع بتشكيلات القتال

حتى تستطيع قواته القضـــاء على كل مقاومة بكل سهولة دون أن تباغت من جهـــة غير متوقعة فتكون العاقبة شرا على المســلمين .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفكر فى كل كبيرة وصغيرة ، ويعد لكل أمـــر عدته ويتخذ كافة متطلبات الحذر والحيطة لذلك لـــم يســتطع أعداؤه مباغتته فى أى موقف واستطاع أن يباغت أعداءه فى أكثر غزواته ..

***

١٤ ـ الشخصية :

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفى لمفاوضة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديبية ، فعاد الى قريش يقول : « يا معشر قريش ، أنى جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه ، وانى والله ما رايت ملكا فى قوم قط مثل محمد : لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شىء الا اخذوه ، وانهم لن يسلموه لشىء أبدا » .

بهذا الوصف الرائع يصف مشرك من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم شخصية النبى الكريم .

فما هى أسباب هذه الشخصية القوية النافذة التى كان يتحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم متواضعا حليما رءوفا ، رحيما ، ومع ذلك لا يستطيع احد أن يرفع صوته فوق صوت النبى ، ولا يستطيع أحد أن يديم النظر الى وجهه المنير ، ولا يستطيع احد ان يرد له أمرا أو يتردد فى تنفيذه .

ان اسـباب قوة شخصية الرسـول صلى الله عليه وسلم هى محبته للناس جميعا ورغبته الشـديدة فى خيرهم وهدايتهم وخلقه العظيم .

تقـول كتب علم النفس الحديث : « ان الذين يعملون على افادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الانسانى ، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعا ، وهم فى الغالب أقربها الى درجات التكامل » .

*

« ان درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسبا « طرديا » مع اتساع دائرة المجتمع الذى يرمى الفرد الى اسعاده ، فأقلها تكاملا التى يسـعى صاحبها فقط لاسـعاد ذاته اذ لا بد أن تتعارض نزعاته الذاتية مع نزعاته الاجتماعية فى تحقيق غايته الذاتية . ويليها من يسعى صاحبها لاسـعاد أسرته وأولاده ثم يليها من يعمل صاحبها على اسـعاد أقاربه ، ويليها من يعمل على اسعاد هؤلاء وأصدقائه ، ويليها من يعمل لاسعاد أهـل بلده أجمعين . وهكذا الى أن يصل الى من همه الأول والأخير اسعاد المجتمع بأوسع معانيه وهنا قد نصل الى مرحلة ربما تبدو مجردة كالبحث عن الحقيقة ومناصرة العدل وخدمة المجتمع » .

هذا نص ما تقوله كتب علم النفس الحديث أرأيت كيف انها تقرر استبعاد امكان أن يكون هناك انسان همه الأول والأخير اسعاد البشرية .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بل فعل أكثر من ذلك ومن حق هؤلاء العلماء أن يستبعدوا امكان وجود انسان مثالى كان همه اسعاد الناس بل اسعاد العالمين لأنهم يجهلون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » .

فلا عجب أن تكون له كل هذه الشخصية (١) الفذة بكل هذا النور والجلال .

* * *

١٥ ـ القدوة الحسنة :

(أ) كانت غنائم يوم « حنين » أربعة وعشرين الف بعير ، وأربعين الف شاه ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وستة آلاف نسمة من السبى ، ولكن النبى صلى الله عليه

---

(١) يقول ونستون تشرشل « ان شخصية القائد فى نظرى هى كل شىء فى الحرب ، هى الروح التى تحارب بها الجنود ، وهى السلاح الذى يضربون به ، وهى المنبع الذى يستمدون منه قوتهم وايمانهم بالنصر » .

وسلم وزع الغنائم وأعاد السبى ، ولم يبق لنفسه شيئاً من المـــال .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير وفى يوم من الأيام جاءت فاطمـــة ابنة النبى صلى الله عليه وسلم اليه بكسرة خبز ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت : «قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة» فقال : « أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » . وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « ما شبع آل محمد غداء وعشاء من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لحق بالله » .

***

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسى فى آل محمد صاع من طعام ، وانها لتسعة ابيات » وما قالها استقلالا لرزق الله ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته . وقال ابن عباس « والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالى ما يجدون فيها عشاء » . وقالت عائشة أم المؤمنين « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله ، الا أن نرفعه لغائب » . وقالت : « كان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب يسقوننا من لبنها جزاهم الله خيرا » . وقالت : « أن آل محمد لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية من طعام

بر حتى مضى النبى صلى الله عليه وسلم لسبيله » .
وقالت : « والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم شهر لا نخبز فيه » وقالت : « لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت فى يوم مرتين » .
وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند رجل من يهود بوسق (١) من شعير . وقال أبو هريرة :
« أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجوع » فقيل له : وكيف كان ذلك الجوع ؟ فقال : لكثرة من يغشاه وأضيافه وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاما أبدا الا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد » .

* * *

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه : حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ؛ فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

(ب) لم يفكر أبدا بنفسه ، كما لم يفكر ابدا بأهله ، يسبغ عليهم هذا الترف الذى يشيع بين ذوى الجاه والسلطان وحين نصره الله تعالى ورد عنه الأحزاب وفتح عليه (قريظة) و (النضير) ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم

---

(١) الوسق : مكيلة معلومة ، وهى ستون صاعا ، والصاع خمسة أرطال وثلث .

وكن تسع نسوة قعدن حوله وقلن : « يا رسول الله ! بنات كسرى وقيصر فى الحلى والحلل الاماء (١) والخول (٢) ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق » ! .

وآلمن قلبــه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملهن بما تعامل به الملوك وابناء الدنيا ازواجهم ، فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل فى أمرهن من تخييرهن فى فراقه ، وذلك فى قوله تعالى :

« يا أيها النبى قــل لأزواجك أن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميــلا (٣) . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » .

فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فقال لها : « انى ذاكر لك أمــرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى ابويك » فقالت : ما هو ؟ ، فتلا عليها الآية ، فقالت : « أفيك أستأمر أبوى ؟ ! بل أختار الله تعالى ورسوله » .. ثم تتابعن

---

(١) الاماء : جمع أمة والأمة : ألمرأة المملوكة دون الحرة

(٢) الخول : جمع الخولى وهى القائم بأمر النــاس السائس له . والخولى : الراعى الحسن القيام على الماشية وغيرها .

(٣) السراح : الطــلاق . ومتعــة الطلاق : ما تعطاه المطلقة ، وهو يختلف حسب السعة والاقتدار .

كلهن على ذلك ، فسماهن الله : أمهـــات المؤمنين ، تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن وتفضيلا على سائر النساء .

لقد أمره ربه أن يخيرهن جميعا فى سراحهن فيكن كالنساء ويجدن ما شئنه من دنيا المراة ، وبين امساكهن فلا يكن فى بيعة أخرى تبدأ من حيث تنتهى الدنيا وزينتها ، ولا تقتصر الآيتان الكريمتان عن نفى الدنيـــا وزينة الدنيا عنهن ، بل نفت الأمل فى ذلك الى آخر الدهر ، وأماتت معناه فى نفوسهن بقصر الارادة منهن على هذه الثلاثة : الله فى أمره ونهيه ، والرسول فى شدائده ومكابدته ، والدار الآخرة فى تكاليفهـــا ومكارهها ، فليس هناك ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المراة ولا اعتبـــار لمزاجها ولا زلفى لانوثتها ، بل هو تخيير بين ضدين لا تتلون بينهما حالة تكون منهما معا .



أنماط القيادة العسكرية
القيادة الإقناعية
القيادة الإرغامية
في موضعها الصحيح

أنماط القيادة العسكرية :

يحدد علم النفس للقيادة العسكرية نمطين هما القيادة الارغامية (وتسمى أيضا بالقيادة المطلقة أو المستبدة) والقيادة الاقتناعية . أما القيادة الارغامية فهى القيادة التى يرغم بها القائد مرءوسيه على طاعته معتمدا على سلطة مركزه وقوته ، وأما القيادة الاقتناعية فهى القيادة التى يحصل بها القائد على طاعة مرءوسيه وهم مقتنعون بأوامره .

فاذا قارنا بين القيادة الارغامية والقيادة الاقناعية نلاحظ ان القيادة الارغامية غالبا ما تجعل المرءوسين يطيعون أوامر القائد وهم غير مقتنعين ذاتيا بها ، فهم يرغمون أنفسهم على طاعتها خوفا من عقابه أو طمعا فى مكافأته ، ونلاحظ أيضا أن للقيادة الارغامية مساوىء كثيرة منها أنها قد تؤدى الى توليد شعور عدم الرضا عند المرءوسين فتؤدى بالتالى الى انخفاض روحهم المعنوية ، وقد تولد شعورا عدائيا نحو القائد والى ضعف كفاءة المرءوسين فى تحقيق الأهداف وانجاز الأعمال التى ارغموا على تحقيقها ، وقد تؤدى ايضا الى تفشى روح السلبية عند المرءوسين والاكتفاء فى العمل بالقدر الذى يجنبهم عقاب القائد ، والى محاولة التهرب من العمل

فى غيابه . اما القيادة الاقناعية فهى تجعل المرءوسين يطيعون أوامر القائد عن رغبة واقتناع ذاتى وليس عن رهبة وخوف .. وذلك لأن القائد فى هذه الحالة يضع فى حسابه العامل البشرى ، ويدرك ان هناك فروقا كثيرة بين الأشخاص وبعضهم وبعض فى القدرات والامكانيات البدنية والعقلية وهو ما يسمى « بالفروق الفردية » وتعتمد القيادة الاقناعية الى حد كبير على « قدرة القائد ومهارته » فى السلم والحرب اى قدرته على القيادة أو على مواجهة المواقف وحل المشكلات وبعبارة اخرى قدرته على ادارة دفة الأمور بنجاح ، بينما تعتمد القيادة الارغامية على « قوة القائد وسلطته » . ومن أهم ميزات القيادة الاقناعية انها تؤدى الى توليد شعور الارتياح والرضا عند المرءوسين وبالتالى تؤدى الى ارتفاع روحهم المعنوية وتوليد روح المحبة والإخلاص للقائد وتؤدى الى توفير الكفاءة العالية لدى المرءوسين فى تحقيق الاهداف التى يوجههم اليها ، والى خلق روح الايجابية فيهم والى زيادة انتاجهم ومساهمتهم فى حل المشاكل التى تواجههم والى الاقبال على العمل باخلاص وحماسة حتى فى غيبة القائد .

ومن ذلك يتضح ان نمط القيادة الاقناعية افضل من نمط القيادة الارغامية ، ومع ذلك فان القيادة العسكرية الناجحة هى التى تستطيع أن تجمع بين النمطين ، فالقائد الناجح هو الذى يستطيع « بقدوته » ان يقنع مرءوسيه بقبول قراراته والأهداف التى يختارها ، كما يستطيع أيضا «بقوته» أن يرغمهم بسهولة على قبول قراراته وأهدافه اذا استدعى

الأمر ذلك لمصلحة العمل . اى ان القائد الناجح يتخذ أسلوب القيــادة الاقناعية أساسا لسياسته وطريقته فى القيــادة وهو يملك ايضا القوة التى تمكنه من ارغام مرعوسيه على قبول قراراته عند الضرورة . . والجدير بالذكر ان أغلب المرعوسين سوف يطيعونه ــ فى هذه الحالة ــ اقتناعا لا خــوفا ، لأنهم سوف يقتنعون أنفسهم بأنه لا بد وأن هنــاك ما يبرر ما ذهب القائد اليه ، وذلك لسبق معرفتهم به ، وثقتهم فيه ، وتقديرهم لكفاءته ومقدرته .

* * *

نمط القيادة العسكرية فى المدرسة الاسلامية :

هذا الذى قرره علم النفس العسكرى يقترب مما قررته المدرسة الإسلامية فى أن القيادة العسكرية الناجحة هى التى تتأسس على نمط القيــادة الاقناعية ولا تستبعد اســتخدام نمط القيادة الارغامية فى ظروف خاصــة عند الضرورة ، لكن ما قرره علم النفس لا يتسامى الى مستوى النظرية الاسلامية فى سموها ونبلها وشرف مصدرها .

فاذا كان القــائد فى أى جيش ــ يستند الى السلطات والصلاحيات التى يخولها له القانون سواء قانون الدولة أو قانون الأحكام العسكرية ، فان لدى القائد المسلم قانونا تقف أقوى القوانين الوضعية دونه هزيلة عاجــزة ، لأنه قانون

سماوى منزل لا يأمر بطاعـــة القائد فحسب ، بل يقرن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله كما في قوله تعالى :

((يا أيها الذين آمنــوا أطيعوا الله وأطيعوا الرســول وأولى الأمر منكم)) . (النساء ــ ٥٩)

ومع ذلك فان نظرية الاســلام فى القيادة توجه إلى تفضيل نمط القيادة الاقناعية .

ان الاقتنــاع يولد لدى الفرد الدافع الذاتى نحو الطاعة والسلوك السليم وانه هــو حجر الزاوية فى بنــاء الانضباط السليم .

***

ولنا فى رســول الله الأسوة الحسنة ، فقــد كان عليه الصلاة والسلام مثالا كاملا لنمط القيــادة العسكرية الحقة ، فقد كان الاقناع وسيلته الاولى فى طاعـــة المؤمنين له ، لأن الاقتناع يوجب الود ، ويؤكد الصلات بين القائد ومرءوسيه ، ويحقق النتائج المرجوة على احسن الوجوه .

وهذا امر لا غرابة فيـــه ، حيث ان الاقنـــاع والاقتناع كانا أصلا الأساس فى الدعوة الاسلامية كما فى قوله تعالى :

((لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)) .
(البقرة ــ ٢٥٦)

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

(النحل ـ ١٢٥)

كما أن الاسلام يدعو الى أن تقوم الصلة بين القائد ومرءوسيه على أسس من الرحمة والرفق والمحبة كما يفهم من قوله تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

(آل عمران ـ ١٥٩)

وهكذا تنسجم القيادة الاقناعية مع ما قرره الاسلام من مبادىء الحرية والكرامة الانسانية ، وهى من المبادىء الأساسية التى صنعت أمة ذات حضارة عريقة أضاءت للعالم طريق الحرية والتقدم ، كما صنعت جيشا لا يقهر وقادة أبطالا وعباقرة فى فن الحرب .

* * *

وهنا تكمن فلسفة نظرية الاسلام فى القيادة ، لأن الذين ينسقون لا يمكنهم يوما من الأيام أن يكونوا قادة فكر ، ولا أبطال جهاد .

وهكذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقود

بمقتضى « السلطة » ، بل الكفاءة والمقدرة والأخلاق والحب والشخصية والثقة وكل صفات القيادة الرشيدة .

وكان عليه الصلاة والسلام لا يستبد برأى ؛ بل كان يتبع مبدأ الشورى فيستشير أصحابه وينزل على الرأى الذى يبدو صوابه بصرف النظر عن صاحبه كبيرا كان أو صغيرا .

— فى غزوة بدر لم يصدر النبى القائد قراره بالخروج للمعركة الا بعد أن استشار أصحابه وهو يقدر الموقف قائلا لهم « أشيروا على أيها الناس » وكان هذا هو الحال أيضا فى أغلب الغزوات .

وفى الغزوة نفسها أيضا اتخذ جيش المسلمين موقعا لكن الحباب بن المنذر أشار بالانتقال الى موقع آخر رأى من وجهة نظره انه أفضل من الموقع الأول لأنه يتحكم فى البئر فنزل الرسول القائد على رأيه وانتقل الجيش الى الموقع الذى أشار به .

* * *

وفى غزوة أحد كان الرسول يرى البقاء فى المدينة بينما رأى أكثرية اصحابه الخروج لقتال قريش خارج المدينة ، فنزل على رأيهم ، وقد حدث فى هذه الواقعة ما يؤكد حسم الرسول القائد وحزمه فلقد أحس المسلمون انهم قد استكرهوا النبى على الخروج على خلاف ما كان يراه فلاموا انفسهم وأبدوا رجوعهم عن رأيهم . وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك . لكن النبى صلى الله عليه

وسلم قال : « ما كان لنبى اذا لبس لأمته (اى الدرع والسلاح) أن يضعهما حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه انظروا ما آمركم به فاتبعوه والنصر لكم ما صبرتم » .

وهنا يقدم لنا الرســـول القائد خير دليل على احترام المشورة وفى الوقت نفسه يقدم لنا نموذجا للحسم واستخدام أسلوب القيادة الارغامية حيث لا يسمح بالمناقشة وهذا مايعبر عنه تصميمه على الخـــروج رغم رجـــوع المسلمين فى رايهم وما يفهم من عبارة « انظروا ما آمركم به فاتبعوه » .

* * *

القيادة الارغامية فى موضعها الصحيح :

وقد كان الرسول يلجأ الى اسلوب القيادة الارغامية عند الضرورة وخاصة فى أوقات الحرب ، وكان الخير يبدو دائما فى أعقاب ما حمل اصحابه عليه .

ولعل أبرز صور القيادة الارغامية التى تعتبر ضرورة فى بعض المواقف هو ما حدث فى صلح الحديبية حيث نلاحظ ان الرسول القائد لم يستشر أصحابه فى غزوة الحديبية رغم انه استشارهم فى كافة غزواته الأخرى .

أما سبب عدم استشارتهم فى تلك الغزوة فهو انه كان عليه الصلاة والسلام يصر على نواياه السليمة التى تؤمن له الاستقرار الضرورى لانتشار الاسلام وكان لبعد نظره المدهش

أن نتائج الصلح ستكون خيرا شاملا للدعوة بينما كان أصحابه يريدون النصر العاجل قبل أوانه . وكان الرسول يقصد من التفاهم مع قريش أهدافا بعيدة جدا ليس من مصلحة الدعوة ولا من مصلحة المسلمين الاخبار عنها وقد ظهرت اهدافه فيما بعد في تيسير نشر الدعوة الاسلامية .

فموقف كهذا لا مجال فيه لاستشارة احد ولا تصح فيه المناقشة فهو يعد كما في العلم العسكرى الحديث من الأهداف الاستراتيجية العليا .

* * *

ومما اثار حفيظة المسلمين صبر الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء كتابة العهد ، فقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وقال له :

« اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل (١) « أمسك » لا أعرف الرحمن الرحيم .

« بل اكتب باسمك اللهم » قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اكتب باسمك اللهم » ثم قال :

« اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » .

قال سهيل « أمسك . لو شهدت أنك رسول الله لم

---

(١) ممثل قريش في المفاوضات .

اقاتلك » ولكن اكتب اسمك واسم أبيك » .

قال الرسول صلى الله عايه وسلم : « اكتب هـــذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » .

ويبدو الارغام كذلك بعد صلح الحديبية حين رد الرسول **ابا جندل بن سهيل بن عمرو الذى جاء المدينة مسلما** الى مكة ، تنفيذا لنص من نصوص المعاهدة التى لم يجف مدادها بعد ، يقضى بأن من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم (أى أعاده اليهم) .

لقد جعل ابو جندل يصرخ ويقول — يا معشر المسلمين الرد الى المشركين يفتنونى فى دينى — فزاد ذلك من عدم ارتياح الناس الى الصلح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل أصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، انا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم عهد الله . وانا لا نغدر بهم » .



مبادئ القيادة

يقرر علم النفس العسكرى أن للقيادة العسكرية عنصرين أولهما صفات القيادة ، التى يجب أن يتصف بها الانسان ليكون قائدا ناجحا ، وثانيهما مبادىء القيادة وهى القواعد والأصول التى يجب أن يتبعها القائد ويطبقها عند ممارسته للقيادة .

وكما استخلصت صفات القيادة من دراسة شخصيات القادة الناجحين البارزين ، فقد استخلصت مبادىء القيادة من التجارب والدراسات والتحاليل التى أجريت على القيادات الفذة وأساليبها فى القيادة ، وأصبح العسكريون فى كل مكان يتعلمون هذه المبادىء التى ثبت أن تطبيقها من اكبر عوامل النجاح فى القيادة وتحقيق النصر فى المعركة .

وقد جاءت العسكرية الاسلامية بكل ما وصلت اليه دراسات الخبراء وابحاث العلماء من مبادىء وجعلت لها منزلة رفيعة اذ ربطتها بمبادىء الدين فولدت بذلك أقوى الحوافز التى تدفع القادة الى اتباعها والحرص عليها .

١ ــ معرفة القائد لعمله :

القائد الجيد هو الذى يكون عارفا بعمله وخبيرا فيه وملما بكل دقائقه ، ولا يتأتى ذلك الا على أساس من العلم والمعرفة مع المران والتدريب العملى فى كل ما يتعلق بالوظيفة .

وقد عنى الاسلام بالعلم والتدريب وحث عليهما ووجه اليهما ، فهما من اسس اعداد « القوة » التى أمـر الله تعالى بها ، كما وجه الاسلام الى استمرار التزود بالعلم فى كل جديد والأخذ بأسباب التقدم والتطور .

***

٢ ـ معرفة القائد لنفسه :

من واجب كل قائد ان يعرف مواطن القوة والضعف فى نفسه ، فالانسان الذى لا يعرف خصائص نفسه ، ولا يعرف قدراته وحدودها ، لا يكون سيد نفسه ولا يرجى منه أن يكون قائدا .. وكذلك فان الانسان الذى يدرك نواحى النقص او الضعف فيه ولا يعمل على اصلاحها سوف يفشل فى القيادة .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

وفى هذا الحديث توجيه الى ن يعرف الانسان نفسه وما فيها من جوانب القوة أو الضعف ، كما يوحى باتخاذ ما ينبغى نحوها من عمل ايجابى يتعهد جوانب القوة بالمحافظة والتنمية، وجوانب الضعف بالعلاج والاصلاح .

ان عناية الاسلام بتكوين الضمير الدينى للمسلم وبالدعوة الى جهاد النفس ومحاسبتها تربى فيه فضيلة النقد الذاتى

وهى من أحسن سبل معرفة الانسان لنفســـه ، واصلاحها والاتجاه بها نحو الكمال المنشود .

* * *

٣ — معرفة القائد برجاله :

وكما يجب على القائد أن يعرف نفسه ، يجب عليه أيضا أن « يعرف رجاله » جيدا لكى يدرك الخصائص النفسية لكل منهم ، والفروق الفردية بينهم ، وهذه المعرفة من أولى مهام القائد التى تعينه على قيادة رجاله بنجاح ، وتوجيه كل منهم الى ما يناسبه وبذلك يمكنه استخدام أقصى ما لديهم من طاقات مادية ومعنوية نحو تحقيق الأهداف المقررة .

وقد كان الرســـول القائد صلى الله عليه وسلم يعرف رجاله تماما ويعرف نفسياتهم لأنه ولد بينهم وعاش وترعرع بينهم وكان يعيش بينهم فــــردا منهم يشاركهم فى السراء والضراء .

وكانت معرفة الرجال ونفسياتهم هى الأساس فى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فمثلا فى مجال الشجاعة والجراة كان يعرف من يكلفه بالعمل الذى يحتاج اليهما ومن ذلك انه فى غزوة أحــد أمسك عليه الصلاة والسلام بسيف وقال « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام اليه رجال يريدون أخــذ السيف لكن الرسول أمسكه عنهم حتى قام أبو دجانه

فأعطاه له . ولقد أثبتت حوادث المعركة حسن اختيار الرسول القائد لأبى دجانه ، فقد سأل رســـول الله قائلا « وما حقه يا رسول الله ؟ » قال الرسول : « أن تضرب به العدو حتى ينحنى » .

ولقد قاتل أبو دجانه بهذا السيف قتالا شديدا فلما دارت الدائرة على المسلمين قام بعمل يدل على الشجاعة والفدائية اذ حنى ظهره على الرسول وجعل من ظهره ترسا يحميه وكان النبل (السهام) يقع فيه .

***

وكان الرسول يعرف فى حسان بن ثابت ان قلبه لا يقوى على الحرب لكنه كان شاعرا بليغا ففى غزوة أحد والخندق تركه فى المدينة واستفاد من شعره البليغ فى مجال الحرب النفسية فكان عليه الصلاة والسلام يقول له : « يا حسان اهج المشركين وجبريل معك ، اذا حارب أصحابى بالسلاح ، فحارب باللسان » . ولما أراد الرســـول أن يختار من بين المسلمين رجلا يأتيه بأخبار المنافقين اختار حذيفة بن اليمان العباسى رضى الله عنه ، لأنه كان يتمتع بمزايا رجل الاستطلاع والمخابرات تماما فقد كان معروفا بأنه شديد الكتمان لا يفشى سره لأحد ويتمتع بحضور البديهة فلا يرتبك فى المواقف الحرجة وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات عن الأعداء فلا يفشى نياته ونيات المسلمين وأهـــدافهم وكذلك كان يتمتع بالذكاء الخارق وبموهبة حب الاستطلاع .

ولقد استمال الرسول قلوب المؤلفة قلوبهم بالمال بعد حنين لأن المادة كانت تطغى على جوانب تفكيرهم ، اذ لم يستشعروا بعد حلاوة الايمان . قال صفوان بن أمية : « ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق الى ، حتى ما خلق الله شيئا احب الى منه !! . » .

ولكنه حرم الأنصار من غنائم يوم حنين ، لأنهم كانوا أغنياء بايمانهم العظيم وقد بكوا حتى اخضلوا لحاهم بالدموع حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ » .

* * *

وهكذا كان الرسول القائد يعرف مزايا رجاله ويكلف كل واحد منهم بما يتفق مع قدراته البدنية والعقلية ، فكان يعرف ان فيهم صاحب الرأى والمشورة ومن يستطيع قيادة غيره ، ومن لا يستطيع ان يكون أكثر من جندى بسيط الى غير ذلك من القدرات فاستطاع بذلك اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب واستطاع رجاله جميعا انجاز مهامهم بكل كفاءة ونجاح .

وروى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا ، فأعطاه ثم قال له: احسنت اليك ؟ قال الأعرابى: لا ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا اليه (يريدون ايذاءه) فأشار اليهم ان كفوا .. ثم قام ودخل منزله فأرسل اليه وزاده شيئا ، ثم قال له :

احسنت اليك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبى انك قلت ما قلت آنفا وفى نفس أصحابى من ذلك شيء فان احببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك ، قال نعم : فلما كان الغد جاء .. فقال النبى : ان هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم انه رضى . أكذلك ؟ قال : نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس (جروا خلفها) فلم يزيدوها ألا نفورا فناداهم صاحبها فقال لهم : خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها . وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار .

نتبين من هذا الحديث ما يجب أن يتحلى به القائد من الحلم وضبط النفس ومعالجة الأمور بلباقة وحزم وبعد نظر وواقعية واعية ، ولقد عرف النبى فى ذلك الاعرابى طبيعة صنف من الناس لا يعالج بالقسوة بقدر ما يعالج بالسياسة والفطنة . وهذا الاعرابى الذى قاده النبى هذا القود الحسن لو كلف بعمل خطير بعد ذلك لقدم فيه حياته عن طيب خاطر .

* * *

٤ ـ رعاية شئون الجند وحسن معاملتهم :

قال النبى عليه الصلاة والسـلام : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وقال ايضا : « لا يسترعى الله تبارك وتعالى عبدا رعية قلت أو كثرت الا سأله تبارك وتعالى يوم القيامة اقام فيهم أمر الله ، أم أضاعه ، حتى يسأل عن بيته خاصة » .

وكان عليه الصلاة والسلام مثلا اعلى فى رعاية شئون رجاله وحسن معاملتهم وتكريمهم والاعتزاز بهم ؛ وهل هناك ابلغ من معاملته لبـلال الحبشى ولصهيب الرومى وسلمان الفارسى ، لقد كان لهؤلاء وهم عبيد منزلة يحسـدهم عليها العرب من أهل مكة والمدينة ، وما كان يقبـل أن توجه الى أحد منهم اهانة تحط من قدرهم . ففى فتح مكة قال أبو سفيان « يا محمد جئت بأوباش الناس ـ من تعرف ومن لا نعرف ـ فقال أنتم أظلم وأفجر » ان العـدل والمسـاواة هما طابع الاسلام العام ودليل المدرسة الاسلامية فى معالجة الرجال . قال تعالى :

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(الحجرات ـ ١٣)

والله عز وجل يأمر بالعدل فى قوله تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » .

(النحل ـــ ٩٠)

وفى قوله تعالى :

« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » .

(الأنعام ـــ ١٥٢)

ان العدل أســـاس الحيـــاة ، والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبـــات هى البلسم الذى يزيل أمراض القلوب ويقضى على الأحقاد والضغائن .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر من دعوته الى العدل والانصـــاف ، ويحـــذر من الظلم وينهى عنه ومن ذلك قوله عليه السلام :

ـــ **« اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة » .**

ـــ **« اتقوا دعوة المظلوم ، فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة » .**

ـــ **« اتق دعـــوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب » .**

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره أن يميز نفسه او يميزه أصحابه بشىء ، حدث أنه كان يطوف بالبيت فقال : اسقونى ، فقالوا : ان هذا الماء يخوضه الناس ، ولكننا نأتيك

بماء من البيت . فقال : لا حاجة لى فيه ، اسقونى مما شرب منه الناس .

وعند بناء المسجد فى المدينة حمل النبى الحجارة والتراب والجريد واللبن كأى فرد من المسلمين . وكان عليه الصلاة والسلام فى سفر وتهيأ أصحابه لاعداد الطعام وتقاسموا العمل فيما بينهم فقال : وعلى جمع الحطب ، فقالوا : يا رسول الله انا نكفيك هذا ، فقال الرسول « قد علمت انكم تكفوننى اياه ، ولكنى اكره أن اتميز عليكم ، وأن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » .

* * *

وفى مسير الاقتراب الى بدر قسم الابل المتيسرة وعددها سبعون بعيرا بين أصحابه وكان من نصيبه مع على بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى ، بعير يعتقبونه ، تماما كما يفعل أى فرد من أفراد قواته (يعتقبونه اى يتناوبون الركوب) .

وفى غزوة الخندق ، حفر بيده وحمل الأحجار والأتربة على عاتقه ، قال البراء بن عازب : « كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه » .

ومن أمثلة رعايته صلى الله عليه وسلم لجنوده ، انه كان اثناء سير الجيش يتقدم مرة ويتأخر عنه أخرى ، لينظر فى أمورهم فيساعد المتأخر ، ويردف الراجل (أى يركب الماشى

خلف الراكب) ، ويعفى الضعيف ، ويدعو لرجاله بالنصر والقوة ، وبذلك تقوى قلوبهم ، وتتعانق ارواحهم ، ويجدون من حسن المعاملة بلسما لجراحهم ، وعوضا عن وعثاء السفر ومشقة الطريق .

ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من أمير عشرة الا يؤتى به مغلولا يوم القيامة حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور » .

(رواه البزاز والطبرانى فى الأوسط ـــ ومعنى يوبقه الجور اى يهلكه الظلم) .

***

ــ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أحب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم (أقربهم) منى مجلسا : أمام عادل ، وأبغض الناس الى الله تعالى وأبعدهم مجلسا : امام جائر » .

(رواه الترمذى).

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلف عنهم فى المسير فيرجى الضعيف (يسمح له بالتأخر) ويردف ، ويدعو لهم » .

وحدث أن كان الرســـــول صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف المسلمين فى غزوة بدر فوجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف فطعنه بعصا خشبية كانت فى يده وقال : استو يا سواد ، فقال الرجل : يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالعــدل والحـــق فأقدنى (أى مكنى من القصاص من نفســـك) ، فكشف النبى عن بطنه وقال : « اســتقد » ، (أى خذ القصاص) فتأثر الرجل وقبل بطنه الشريف .. تلك صورة ناصعة لخلق القائد وعدالته وحسن معاملته لرجاله ، فلقد قبل محمد رسول الله وقائد جيش المسلمين على نفسه أن يقتص منه جندى من جنوده لأن الحق معه ، وهو الذى بعثه الله بالحق !! .

ورأى عليه الصلاة والسلام ذات مرة رجلا غنياً جلس بجانبه رجـــل فقير ، فجمع الرجـــل الغنى ثيابه وأشاح عنه بوجهـــه . فقال عليه الســـلام له : أخشيت أن يعدو عليك فقره ؟ . . وعير أبو ذر الغفارى بلال بن أبى رباح قائلا له : يا ابن السوداء فغضب النبى عليه الســـلام وقال : « طف الصـــاع . طف الصـــاع (أى تجاوز الأمــر حـــده) ليس لابن البيضاء فضـــل على ابن السوداء الا بالتقوى أو بعمل صالح » ، وهنا وضع أبو ذر خده على الأرض وقال لبلال : قم فطأ على خدى .

***

وكان صلى الله عليه وسلم يمرض الجرحى فى المعركة مثلما فعل مع قتادة بن النعمان حين أصيب فى عينه ، وحين جرح عبيدة بن الحارث فى بدر وكانت اصابته جسيمة فرش له قدمه وأراحه عليها حتى يسلم روحه الى بارئها . وكان عليه الصلاة والسلام يدعو ربه قائلا : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم ، فأرفق به » رواه مسلم .

ولابد هنا من التنويه بأن دعوة الاسلام الى رعاية شئون الجند وحسن معاملتهم تكشف عن جانب من جوانب العظمة فى هذا الدين الحنيف ، اذ انه سبق بهذا المبدأ من مبادىء القيادة كل النظم والدساتير بقرون طويلة .

فان الرعاية الانسانية للجنود لم تر النور ولم تجد من يدعو لها ويقدر اهميتها ويعدها من مبادىء القيادة الا فى العصر الحديث .

* * *

وليس هناك أبلغ فى الدلالة على ذلك من شهادة قائد عسكرى كبير هو القياد مارشال مونتجمرى فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » حيث قال عن العلاقة بين القائد والجنود ما يلى :

وفى العصر الحديث اذا قابل القائد مشكلات جنوده الانسانية بطريقة باردة ومجردة من الشعور الحقيقى فلن يحصل منهم الا على القليل ولكنه اذا استطاع كسب ثقتهم وايمانهم وجعلهم يشعرون بأنه يرعى مصالحهم وانهم بين أيد

أمينة عليهم يكون بذلك قد امتلك رجالا ذوى مستوى عال ونادر معنويا وقتاليا وحقق فى الوقت نفسه أعظم ما يمكن أن يحققه قائد . والنصر فى المعركة لا يتحقق كما ذكرت الا بواسطة الروح القتالية العالية للجنود والضباط فى الميدان مهما كانت نوعية ضباط القيادات العليا » . ثم يقول :

« وعندما تحدثت عن علاقة القائد والجنود بدأت بكلمة (العصر الحديث) لأن الحال لم تكن هكذا فى العصور الماضية ، وعلى كل فالقادة فى اى عصر مسئولون عن كسب الحرب وقادة العصر الحديث يقومون بذلك ولكن بأقل ما يمكن من الخسائر فى الأرواح . اما خلال العصور الوسطى فلم يكن القوة البشرية اى اعتبار ولم تكن ذات قيمة لأن العبيد كانوا يعملون فى الأرض وبعد ذلك يستهلكون فى المعارك .

***

اما فى القرن الرابع عشر فقد توالت سلسلة من الأوبئة وأصبحت القوة البشرية نادرة جدا اذ أن هذه الأوبئة حصدت أعدادا مخيفة من البشر حتى سـمى هذا العصر بعصر « الموت الأسود » فنتج عنه ارتفاع قيمة هؤلاء العبيد وبذلت الجهود للمحافظة على حياتهم » . ثم يقول مونتجمرى :

« وفى العصر الحديث ضمت الجيوش عناصر بشرية جديدة تختلف تمام الاختلاف عن العبيد الذين كانوا ينزعون من العمل فى الأرض الى الحرب ، فهم رجال مثقفون ويمكنهم التفكير والتقدير بل والنقد أيضا ، ويهمهم دائما معرفة ما يجرى

وما يريد القائد أن يقوم به .. ولماذا .. ومتى ..؟ ويهمهم أيضا أن يتأكدوا من أن قائدهم يعمل ما فى صالحهم وانهم بين أيد أمينة ، ولذلك يريدون دائما رؤيته حتى يرسموا فى اذهانهم صورة له فيعرفوا من اى نوع من البشر هذا القائد .. وبذلك ترتفع روحهم المعنوية » .

* * *

٥ ــ المحافظة على أرواح الجنود :

واذا كانت الرعاية الانسانية للجنود لم تصبح مما يهتم به القادة حقا الا فى العصر الحديث فكذلك كانت « المحافظة على أرواحهم » .

وقد اشار مونتجمرى الى ذلك أيضا وأكد على أهمية هذا المبدأ فى قوله : « عندما أصبحت قائدا كبيرا وضعت نصب عينى أهمية معرفة الجنود بوجود قادة من مختلف الرتب يقفون خلفهم ويبذلون كل ما فى وسعهم للعناية بهم ، والقائد الذى يحرص ويعنى أشد العناية بالمحافظة على أرواح رجاله يستطيع أن يحقق النصر بأقل خسائر فى الأرواح لأنه يحصل على ثقة جنوده ، وبذلك سيتبعونه عن ايمان وثقة راسخة » .

واذا كانت المحافظة على أرواح الجنود قد أصبحت مبدأ من مبادىء القيادة فى العصر الحديث ، واذا كان السعى

الى كسب الحرب بأقل الخسائر قد أصبح جوهر الاستراتيجية العسكرية الحديثة ، ومظهرا من مظاهر تطبيق علم العصر ، وهو علم الادارة ، فان سبق الاسلام فى تقرير هذه المبادىء منذ أربعة عشر قرنا واضح وجلى :

(أ) فقيام النظرية الاستراتيجية للحرب فى الاسلام على استراتيجية الردع (التى تقوم على اظهار القوة للعدو وارهابه ومنعه من العدوان) كما يفهم من قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »** (الأنفال : ٦٠) ، ينطوى على المحافظة على أرواح الجنود ويؤدى الى كسب الحرب بأقل خسائر (١) .

***

(ب) وقيام العقيدة العسكرية الاسلامية — فى مجال ادارة الصراع المسلح — على أصول الادارة العلمية واساليبها فى التخطيط والتنظيم والتنفيذ والرقابة ، ينطوى على المحافظة على أرواح الجنود ويؤدى الى كسب الحرب بأقل الخسائر .

***

(جـ) أضف الى ذلك ما أثبتته سجلات الغزوات

---

(١) طبق النبى نظرية الردع خير تطبيق ، فمن بين ٢٨ غزوة قادها بنفسه نشب القتال فى ٩ منها فقط بينما فر الأعداء فى ١٩ غزوة منها بلا قتال تحسبا لقوة المسلمين .

والمعارك من قلة خسائر المسلمين فى الأرواح نتيجـــة لتطبيق النظريات الاسلامية التى ذكرناها .

* * *

٦ ـ توضيح الأهداف للجنود ومداومة اعلامهم :

من المبـــادىء المعروفـــة انه كلمـــا زادت المعرفة زادت الفرصة للمبادأة وحسن التصرف . فالفرد الملم بنـــوع المهمة العارف لأبعادها ونتائجها والذى يخرج الى المعركة صاحب هدف محدد عالمـــا به كل العلم ، خير الف مرة من غرد آخر يساق الى مهمة لا يعرف عنها شيئا :

((أفمن يمشى مكبا على وجهـــه أهـــدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم)) . (الملك : ٢٢)

والقيادة الحقة هى التى تحرص دائما على اعلام الأفراد بالمعلومات أولا بأول فيتحركون من ذواتهم قبل أن تحركهم وينطلقون نحـــو الهدف قبل أن تقودهم . أن المجهـــول دائما عقبة صعبة ليس من الســـهل تجاوزها وتخطيها . ويوم أن يعرف الكل لا يحتـــاج الأمر الى قرارات ملزمة ولا الى تعليمات متوالية . وقـــد كان السابقون فى الاسلام يتسابقون الى الميدان ويقترع الأب وابنه أيهمـــا يخرج للمعركة . ذلك لأنهم عارفون ولأن وضـــوح الرؤية كاف فى تبصيرهم بالأخطار المحدقة بهم .

ولقد كان القرآن الكريم فى آيات القتال مركزا تركيزا بالغا على وضوح الهدف فى مثل قوله تعالى :

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله » .

(النساء : ٧٦)

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

(البقرة : ١٩٠)

« وجاهدوا فى الله حق جهـــاده » .

(الحج : ٧٨)

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيـــاة الدنيـــا بالآخرة » .

(النساء : ٧٤)

ثم أوضح لهم الجزاء أن عاشوا أو استشهدوا ،

ان عاشوا فالسيادة فى الارض والتمكين منها :

« أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » .

(الأنبياء : ١٠٥)

« وعـــد الله الذين آمنـــوا منـــكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما اســـتخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـــد خوفهم امنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

(النور : ٥٥)

هذا علاوة على الجزاء الأخروى ايضا :

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » . (العنكبوت : ٦٩)

اما ان نالوا شرف الشهادة — وليس بعده شرف — فالحياة الأبدية فى سعادة غامرة والنعيم الأخروى فى صورة تتضاءل امامها صور النعيم فى الدنيا بأسرها من يوم خلق الله العالم حتى ينتهى .

« ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » . (النساء : ٧٤)

« والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .
(محمد : ٤ — ٦)

كذلك كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام حريصا كل الحرص على اعلام أصحابه وتزويدهم بكل المعلومات الضرورية ، بل كان حريصا فوق ذلك على أخذ مشورتهم سواء فى التخطيط أو التنفيذ .

ويقول الفيلد مارشال مونتجمرى فى هذا المجال :

أن القائد الجيد هو الذى يعرف أولا : ماذا يريد والذى يرى غرضه واضحا وان يحشد لغرضه كل قواه .

وهو الذى يجعل رجاله يعيشون فى جو المعركة فاهمين لما يدور فيها متنبهين لكل ما هو مطلوب منهم .

وهو الذى يتيح لمعاونيه ورجاله معرفة المعلومات بقدر المستطاع أولا بأول ، وهو الذى يرفض المركزية ويجعل رجاله يعملون فى التفصيلات ولا يدع لنفسه غير التوجيهات العامة . وهو الذى يحسن اختيار معاونيه ويجيد توجيههم بمجهود يسير . وهو الذى يبقى فى خط النار حتى يتم النصر . وهو الذى يعنى بالروح المعنوية ، والضبط والربط والاحترام الشخصى وثقة الجنود به وبأسلحتهم وهدفهم . وهو الذى يتمعن فى فهم أخلاق جنوده والشعور والعواطف التى تؤثر فيهم . وهو الذى يقود جنوده بروح قائد الفريق فيعملون متآخين لاحراز النصر المبين . وهو الذى يستطيع وضع رجاله كل فيما يليق له ، أى بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب والعمل المناسب .

***

٧ ــ اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة :

ليس هناك من ينكر قدرة الرسول القائد على اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة .

والقرار السليم ينبنى على قدرة القائد العقلية على تقدير الموقف تقديرا سليما للخروج منه باستنتاجات سليمة وكذلك على مدى المعلومات التى تتوفر للقائد . ولقد كان الرسول الكريم معنيا بالاستطلاع غاية العناية مستخدما فى ذلك شتى الوسائل المعروفة فى العلم العسكرى من عملاء

وراصدين ودوريات الاستطلاع ودوريات القتال الى استجواب الأسرى الى غير ذلك من وسائل الحصول على المعلومات .

ولنأخذ مثلا قرار الرسول القائد بقتال قريش فى غزوة بدر ..

لقد خرج المسلمون أصلا للقاء قافلة قريش فى طريق عودتها بالتجارة من الشام لكن قريشا علمت بالأمر فخرجت بكل قوتها لقتال المسلمين بقوة تتفوق عليهم بنسبة ٣ الى ١ فى العدد وتتفوق فى المعدات بدرجة لا تقارن .

فكان أمام الرسول ان يقدر الموقف ليصل الى قرار هل يقبل الدخول فى معركة مع قريش المتفوقة عليه أم ينسحب ؟ .

فرأى الرسول أن المسلمين لو انسحبوا فسوف تعيرهم قريش بالتخاذل ، وسوف يطمع فيهم يهود المدينة ، أضف الى هذا ما لهذا الانسحاب من أثر سيء على الدعوة الاسلامية .

ولم يشأ الرسول القائد أن يبت فى الأمر حتى يستشير أصحابه فى هذا الموقف الخطير فوجد منهم استعدادا للقتال رغم تفوق العدو ، فقرر الرسول دخول المعركة وكان النصر للمسلمين بفضل ايمانهم وصدق عزيمتهم .

وفى هذا المجال يضع لنا الرسول القائد مبدأ عاما فى اتخاذ القرارات السليمة الا وهو الأخذ بالمشورة الصالحة ،

وجعلهـــا آية من آيات حسن القيـــادة تقترن بآية الابتكار والانشـاء ، لأن القيـــادة الحســـنة هى القيـــادة التى تستفيد من خبرة الخبير كمـــا تستفيد من شجاعة الشجاع وهى التى تجند كل ما بين يديهـــا من قـــوى الآراء والقلوب والأجسام (وسنتناول قاعدة الشورى فيما بعد) .

وتتجلى الكفاءة الحقيقية للقائد الناجح فى اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة فى الظروف الحرجة او المواقف الحاسمة .

فان المقـــدرة على عمل تقدير سريع للموقف والوصول الى قرار سليم وحاسم من المزايا العسكرية التى يسعى اليها كل قائد ناجح ، لأن القائد المتردد لا يتوقف ضرره عنـــد حد الفشل فى مواجهة الموقف باصـــدار القرار السليم فى الوقت المناسب ، وقبل أن يفوت الأوان ، بل يمتـــد الى مرءوسيه فيشيع فيهم التردد وعـــدم الحسم وفقـــد الثقة . وقد ربط الفيلدمارشال مونتجمرى القيادة فى المواقف الفاصلة بالشجاعة والاقدام فقال :

❋ ❋ ❋

« ان القيادة مسألة ذات أهمية بالغة فى فن الحـــرب ، وهنـــاك صفات كثيرة تجعل من الشخص قائدا ، ولكن أهمها واكثرها حيـــوية ، القـــدرة على اتخـــاذ قرارات صحيحة مـــع الشجاعة فى تنفيـــذ القرارات . ولا بد أن يتحلى القائد بصـــفة الاقدام فى انجاز الأمور والتصميم ، وهى الصفات التى ستمكنه من الصمود عندما تتأرجح الأمـــور أو الأحـــداث

بين كفتى ميزان ، اى فى اللحظات الحرجة والمواقف الفاصلة التى تصبح فيها نتيجة الحرب فى الميزان .

* * *

ويصور مونتجمرى المواقف الحرجة فى المعركة وكيف يلفها الغموض وعدم اليقين ، الى درجة قد تؤدى الى اهتزاز ثقة القائد نفسه فى النتائج التى سوف تسفر عنها الأحداث ، ويقرر ان القائد الكفء حقا هو الذى يستطيع — رغم كل ذلك — اشاعة الثقة فى مرءوسيه ، ثم يقول : « فالمعركة فى الواقع صراع بين ارادتين : ارادته وارادة قائد العدو ، فاذا بدأت شجاعته تخونه فى اللحظة التى تتأرجح فيها نتيجة الحرب فى الميزان ، فالمحتمل ان ينتصر عليه خصمه » .

* * *

وسجل الغزوات حافل بالمواقف الفاصلة التى تجلت فيها قدرة الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه على اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة فى الوقت المناسب ومن امثلة ذلك :

(أ) قراره بقبول معركة بدر كان قرارا سليما وحاسما فى موقف من المواقف الفاصلة فى تاريخ الصراع بين الاسلام وأعدائه .

(ب) قراره بالخروج الى حمراء الأسد فى اليوم التالى

لغزوة أحد لمطاردة قريش كان قرارا سليما وحاسما فى موقف شـديد الحرج عسكريا ومعنويا ، استعاد به كثيرا من هيبة الاسلام والمسلمين .

(جـ) قراره فى تلك الغزوة نفسها « حد » الذى استهدف به تكذيب اشاعة قتله وذلك بأن صعد الى التل ينادى : « الى يا فلان الى يا فلان ، أنا رسول الله » كان قرارا سليما وحاسما فى موقف شديد الحرج استفاد به معنويات رجاله وازال آثار الاشاعة الخبيثة .

(د) ومن القرارات الحاسمة فى المواقف المعنوية أو الاجتماعية أو السياسية الدقيقة ، قراره الذى اتخذه وهو يدخل المدينة فى اليوم الأول للهجرة حين وجد ان القبائل وكل البيوت تريد أن تحظى بشرف نزول رسول الله عندها ، فلقد حسم الرسول الموقف بأن قال : « خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة » حتى اذا توقفت الناقة من تلقاء نفسها ، لم يكن هناك فى نفس أحد شىء .



٨ــتحمل المسئولية وتنميتها فى المرءوسين :

انظر الى ذلك المبدأ الذى قرره الرســول القائد فى قوله: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، فهــو هنــا يضع الأساس الأول فى مهمة القــائد الا وهو المسئولية وقدم لنــا بنفسه المثل الأعلى على ذلك فى تحمــله مسئوليته الهائلة منذ بعثه حتى وفاته صلى الله عليه وسلم تلك المســئولية التى لم يكن هنـــاك من يشاركه فى تحملها ، لقـــد كان أصحابه يعاونونه فى كل شىء لكنه كان يتحمل مسئولية كل شىء .

* * *

انظر كيف تحمل مسئولية ثمان وعشرين غزوة وعشرات من السرايا ، وصراعات اقتصادية واجتماعية وسياسية على الصـــعيد المحلى والعالمى ، ومجتمع جديد يتكون بكل جوانبه ومشكلاته ومتناقضـــاته ، وتصاعد أحداثه ومقابلته لقضـــايا الحيـــاة اليومية من توفير للأقوات الى قضـــــاياه الكبرى المصيرية .

ولقد اقتدى بالرسول القائد فى تحمل المسئولية وتقديرها من اتى بعده من قادة المسلمين حتى قال عمر بن الخطاب :

« أو عثرت دابة بشط الفرات لخشيت أن أســأل عنها يوم القيامة لماذا لم أمهد لها الطريق ؟ » .

ان القيادة الناجحة هى التى تنمى فى المرعوســين مبدأ تحمل المسئولية ، لاعدادهم ليكونوا قادة فى المستقبل .

* * *

- قاعدة الشورى في القيادة الحربية
- الشورى في تنظيم الجيش
- غرس وعي التخطيط
- التدريب على التفكير العلمي المنظم
- الرأي أمانة ومسئولية
- وجوب استشارة أهل الرأي
- وجوب الأخذ بالمشورة الصالحة
- وجوب تنفيذ الخطة بعد الشورى

الشورى في تنظيم الجيش :

تستخدم الدول عادة في تنظيم جيوشها نمطين : يسمى الأول بالتنظيم الرأسى ، والثانى بالتنظيم الرأسى الاستشارى (١) .

أما التنظيم الرأسى فتمتد فيه السلطة من القائد الى مرءوسيه عن طريق التسلسل القيادى الذى تصدر تعليماته اليهم كما ترفع اليه تقاريرهم من خلاله ويعيب هذا النمط خلوه من عنصر المستشار او المساعدين المتخصصين مما يلقى على القائد وحده عبء الدراسة والبحث والتخطيط واتخاذ القرارات كما أنه يؤدى عادة إلى تركيز السلطة في يد شخص واحد ، فتتراكم عنده الأعمال وتزيد اعباؤه ويتعرض للوقوع في الأخطاء . وأما التنظيم الرأسى الاستشارى فانه يوفر عنصر المستشارين والمساعدين المتخصصين الذين يقدمون للقائد النصح والمشورة وبذلك يسد ما في النمط الأول من التنظيم من نقص .

---

(١) التنظيم الرأسى والتنظيم الرأسى الاستشارى .

وفى راى علماء النفس انه مهما كانت شخصية القائد ، فان من الخطر ان يترك وحده للتصرف التام فى جميع شئون الجماعة ففى الانفراد بالسلطة معنى التحكم الفردى والتسلط كما أنه من المحتمل أن ينحرف القائد عن أهداف الجماعة تحت تغير ظروفه النفسية الخاصة كما ان الاعتماد التام على القائد الفرد يعرض الجماعة الى هزات عنيفة عند غيابه أو تغييره بآخر مما يؤثر فى استمرار خطة الجماعة .

وقد عنى الاسلام بالشورى وجعلها من علامات الايمان فورد ذكرها فى القرآن بين الصلاة والانفاق لأهميتها وخطرها كما فى قوله تعالى :

« والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

(الشورى : ٣٨)

وأمر الله تعالى رسوله بأن يشاور أصحابه فقال :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

(آل عمران : ١٥٩)

ولم تكن الشورى وامر الرسول بها ــ وهو الذى يتنزل عليه الوحى ــ الا تعليما لهذه الأمة واعلانا بأن فى تحقيق مبدا الشورى من الفضل والخير ما يؤمن معه العثار ويحفظ

الأمة من الزلل ، كمـــا انها من شيمة العقلاء ومنهج الحكماء ومن احاديث الرسول القائد صلى الله عليه وسلم :

ـــ « ما ندم من استشار » .

ـــ « ما شقى عبـــد بمشـــورة ، وما ســـعد باستغناء راى » .

وعلى هـــذا يمكن أن نستخلص من قاعـــدة الشـــورى مبادىء وتوجيهات عديدة ، أولها :

ان يكون نمط التنظيم الراسى الاستشارى هـــو النمط السائد فى تنظيم الجيوش الاســـلامية وبذلك يتحقق لها مزاياه فتأتى قرارات قادتها على أسس من العلم والخبرة والتخصص وتستطيع الجيوش تنفيذ مهامها بكفاية عالية .

وبدهى أن حجم القـــوة يقرر حجم عنـــاصر المشـــورة التى تلحق بها فعلى المستويات الكبيرة تتولى مهـــام المشورة ادارات وأجهـــزة متخصصة ، وعلى المستويات الصغرى فقد يتولاها فرد واحد أو اكثر حسب الأحوال .

***

غرس وعى التخطيط :

تستهدف الشورى مشاركة المنفذين فى عمليـــة التخطيط وذلك من أهم دعائم الكفـــاية فى انجـــاز الأعمـــال وتحقيق

الأهداف . ففرق كبير بين أن تكتفى القيادة باصدار القرارات التى يتعين على المرءوسين تنفيذها وبين أن تحـرص على اشراك هؤلاء المرءوسين فى عمليـة التخطيط وصنع القرار قبل صدوره فالأسلوب الثانى يحقق فوائد جمة .

● فهو يجعل المنفذين اكثر تفهما للاهداف التى يراد تحقيقها .

● ويضمن اهتمامهم وحماستهم وايجابيتهم فى تنفيـذ الخطة التى « ساهموا فى وضعها » .

● ويضمن كذلك ان تأتى الخطـة « خطة واقعيـة » لأن مشاركة المنفذين وهم يعبرون عن الواقـع وعن القدرات الحقيقية فى ميـدان العمـل — يمنع من أن تحتوى الخطة على مهام يصعب تنفيذها وهـذا ما يعبر عنه علماء الادارة الحديثة فى قولهم :

« ان القيمة الحقيقية لأية خطة تكمن فى واقعها وامكانية تنفيذها وان الخطط ذات الشـأن هى تلك التى يكون لديها فرصة اكبر فى التنفيذ » .

***

وهكذا يوجـه مبدأ الشورى الى غرس وعى التخطيط ويؤدى اليه وهـذا الغرس ينمـو فى عقول رجـال الجيش الاسلامى عن طـريق التعلم والملاحظـة والتدريب والممارسة العملية وفقا للأسس الآتية :

● الحـــرص الدائم على الحصـــول على أكبر قـــدر من المعلومات والبيانات الدقيقة والشـــاملة وعلى دراستها وتحليلها مع الايمان بحيويتها للتخطيط السليم .

● التعـــود والتدريب على عمليات التفكير العلمى المنظم والملاحظة والاستقراء والتنبؤ (سبق النظر) وهو ارقى مراتب الفكر والزمها للتخطيط السليم .

● امتنـــاع الجميـــع بتشكيل ســـلوكهم وفقـــا للايمان بأن التخطيط أمر حيوى لتنظيم العمـــل واسلوب أمثل لتحقيق الأهداف بأكبر قدر من الكفاية .

* * *

التدريب على التفكير العلمى المنظم :

وتفيد الشورى فائدة كبيرة فى مجال التدريب على القيادة بالنسبة لقادة المستقبل فكل قائد مسئول عن اعـــداد القادة من بين رجاله وعليـــه أن يحرص دائمـــا على مشاورتهم فى الأمور المختلفة مثل دراسة المشكلات أو التخطيط للمعركة لأن ذلك يعلمهم التفكير العلمى المنظم ويتيح لهم فرصة التزود بالخبرة العمليـــة تحت اشرافـــه وتوجيهه كمـــا أنه يمكنه من اكتشاف المواهب والقدرات البارزة من بين رجاله فيعمل ــ فضلا عن استغلال تلك المواهب لصالح العمل ــ على تنميتها ويتعهدها بالتوجيـــه والرعاية حتى يتبـــوأ أصحابها ما هم أهل له من مراكز فى الوقت المناسب .

الراى امانة ومسئولية :

ويقرر الاســلام ان ابداء الراى أمانة ومسئولية على من يستشار ان يقــول رايه بصدق واخلاص وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ « المستشار مؤتمن » (رواه ابن ماجــه بســنده عن أبى هريرة) .

ــ « اذا استشار احدكم اخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبى جابر) .

ويعتبر الاســلام الانحراف عن الصــدق والاخــلاص فى ابداء الراى من قــول الزور الذى أمر الله باجتنابه وقرنه بعبادة الأوثان فى قوله جل شأنه :

« فاجتنبوا الرجس من الأثان واجتنبوا قــول الزور » .
(الحج : ٣٠)

كذلك يحــذر الاسلام من الامتناع عن ابداء الراى ويعده من شهادة الزور كما فى الحديث السريف :

ــ « من كتم شــهادة اذا دعى اليهــا كان كمن شهد الزور » .

* * *

وجوب استشارة اهل الرأى :

ويوجـــه الاســـلام الى أن يكون المستشار « من أهل الرأى » الذين يصـــدر رأيهم عن ســـعة فى المعرفة وعمق فى التجربة والخبرة فقد روى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : سئل صلى الله عليه وسلم عن العزم فقال : « شاور اهل الراى » .

وجوب الأخذ بالمشورة الصالحة :

ثم يوجه الاسلام الى الأخذ بالمشورة الصالحة والنزول على الراى الصواب كما فعل الرسول القائد صلى الله عليه وسلم مثلا فى غزوة بدر حين نزل على راى الحباب ومشورته ونقل الجيش الى موقع قريب من ماء بدر حيث أشار الحباب . وينطوى قول الرسول للحباب : « اشرت بالرأى » على مغزى رفيع فوق النزول على الرأى هـــو الاشادة بالراى الصواب وتكريم صاحبه وحفز همـــة الآخرين على التفكير وابداء الرأى والمشورة .

روى الامام أحمد بسنده أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « لو اجتمعتما فى مشورة لمـــا خالفتكما » .

* * *

وجوب تنفيذ الخطة بعد المشورة :

واخيراً ، يوجه الاسلام الى ان تنفيذ الخطة عقب المشورة واجب وانه متى استقر الرأى على أمر ما فلا مجال للتردد أو المناقشة لأن من شأن ذلك تعطيل التنفيذ والفشل فى تحقيق الأهداف وهذا التوجيه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

« فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » .

وقد سبق أن ذكرنا ما حدث فى غزوة « أحد » من ذهاب القوم الذين دعوا الى الخروج خارج المدينة الى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهارهم الرغبة فى النزول على رايه بالبقاء فى المدينة الا أن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم حسم الأمر ، وقطع هذا التردد والاضطراب فقال :

— « ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته (أى ورعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه انظروا ما أمركم به فاتبعوه والنصر لكم ما صبرتم » .

* * *

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
مقـــدمة	١١
القيادة ضرورة اجتماعية	١٥
ضرورة القـــائد	١٧
حق القائد فى الطاعة	١٨
معيار اختيار القائد	١٩
صفات القائد	٢٥
محمد المثل الكامل	٢٨
أنماط القيادة العسكرية	٥١
نمط القيادة العسكرية فى المدرسة الاسلامية	٥٥
القيادة الارغامية فى موضعها الصحيح	٥٩
مبادىء القيادة	٦٣

الموضـــــوع	الصفحة
معرفة القـــائد لعمله	٦٥
قاعدة الشورى فى القيادة الحربية	٩١
الشورى فى تنظيم الجيش	٩٣
غرس وعى التخطيط	٩٦
التدريب على التفكير العلمى المنظم	٩٧
الرأى امانة ومسئولية	٩٨
وجوب استشارة أهل الرأى	٩٩
وجوب تنفيذ الخطة بعد المشورة	١٠٠

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨١ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت : ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨١/٢٣٧٦
الترقيم الدولى : ٠ ـ ٧٧ ـ ٧٣٢٨ ـ ٩٧٧